



إنتاج المعرفة التاريخية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية

في مدونات المجلة الأفريقية: نموذج : بيربروجر- دوفو – دو غرامون- رين

Production of historical knowledge in Algeria during the colonial period in the
blogs of the African Journal Model: Berbrugger –Devoulx – De Grammont -
Rinn

أ.د. حنيفي هلايلي

جامعة سيدي بلعباس، الجزائر

hanifi_andalous@yahoo.fr

صورية متاجر (*)

جامعة سيدي بلعباس، الجزائر

sorayabiblio@gmail.com

تاريخ النشر: 2020/03/31

تاريخ القبول: 2019/05/13

تاريخ الإيداع: 2019/05/07

الملخص:

تناول هذه الدراسة بالأساس الإنتاج التاريخي الذي أنجزته المجلة الإفريقية خلال المرحلة الاستعمارية للجزائر ما بين 1830-1962. كما تركز على عناصر بحثية شملت أربع شخصيات مجتمع الدراسة التي قمنا بالتطبيق لها. وقد شملت هذه الشخصيات التالية: بربروجر ، ألبير دوفو ، دو غرامون و لويس رين و. أنتج هؤلاء 324 مقال في المجلة الإفريقية في فترة زمنية امتدت منذ تأسيس المجلة سنة 1856 على يد الجمعية التاريخية الجزائرية و إلى غاية 1905 تاريخ وفاة لويس رين. لوحظ أثناء تقييم الإنتاج المعرفي للدراسات المنجزة أنها غطت تاريخ الجزائر عبر مختلف الحقب الزمنية ، وتنوعت اهتماماتها البحثية في شتى حقول المعرفة، كما لوحظ اعتماد دراساتهم على الوثائق و الآثار بالدرجة الأولى، وقد لا مست معظم مقالاتهم جغرافية الجزائر بالأساس.

الكلمات الدالة:

الجزائر، المجلة الأفريقية، المعرفة التاريخية، تاريخ، وثائق، آثار.

Abstract:

This present paper is based on study mainly examines the historical production of the African magazine during the colonial phase of Algeria. Between 1830-1962. It is based on research elements including four personalities of the study

(*) المؤلف المرسل : صورية متاجر: sorayabiblio@gmail.com



community that we have applied to. These included the following figures: Berbrugger, Albert Devoulx, Louis Rinn and De Grammont. They produced 324 articles in the African magazine in a time period Since the establishment of the magazine in 1856 by the Algerian Historical Society Until 1905, the date of Rinn death. Observed during the assessment of cognitive production of studies It covered Algeria's history through various eras. Focused on documents and antiquities in the first place.

Key Words:

Algeria, African journal, historical knowledge, history, documents, monuments

إن تطور المعرفة التاريخية و حقلها و طرائقها، تبين على أن الماضي الذي تتناوله المعرفة التاريخية عبر نقل وقائعه في حيز الزمان و المكان تسمى بالإسطوغرافيا في الحضارة الغربية، و عرفت بتدوين الأخبار في الحضارة العربية الإسلامية. و عليه فإن التداخل بين الكتابة و المنهج في التاريخ أدى إلى ظهور علم التاريخ. لقد تناولت الأسطوغرافيا الفرنسية مند بداية احتلال الجزائر سنة 1830 المسائل التي يلخصها ستيفان غزال (Stéphane Gsell) في كتاباته : " ماهي أصول هؤلاء السكان؟ كيف تكونت عاداتهم و مؤسساتهم، معتقداتهم؟ ماهي الأمثلة التي يمكن أن يعطيها الاحتلال و الاستعمار الروماني؟ ⁽¹⁾ يعني هذا قراءة ماضي الجزائر، حيث أنشأ أول و أكبر عمل منشور هو: الاكتشاف العلمي للجزائر الذي أنجزته لجنة الاكتشاف العلمي التي تأسست بقرار من وزارة الحرب في 14 أوت 1837م ⁽²⁾. بلغ عدد أعضائها 24 عضوا سنة 1839، و جرى تنفيذ أعمالها الاستكشافية على يد العسكريين . كان يديرها العقيد بوري دي سان فانسان (1846-1778) (Bory de saint vincent)، و شملت أعمالها تسعة عشر تخصصا ، نشرت نتائجها سنة 1842، و من أبرز أعضائها: بيربروجر (berbrugger)، دي نوفو (De neuve)، بيليسييه (Pélissier)، وارنييه (Warnier) ⁽³⁾.

تقوم هذه الدراسة على إبراز الأبحاث المتعلقة بإنتاج المعرفة التاريخية خلال الفترة الاستعمارية (1830-1962) و التي تخص تاريخ الجزائر. لقد نشرت هذه الدراسات في أكثر المجالات شهرة في الجزائر خلال الحقبة الفرنسية وهي المجلة الأفريقية (Revue africaine). وقد تم اختيار عينة للبحث تتكون من أربع شخصيات كتبت بإسهاب في المجلة و تنوعت اهتماماتها في أكثر المواضيع أهمية في المجلة الأفريقية، و الشخصيات موضوع الدراسة هي: أدريان بيربروجر ، ألبر دوفو ، هنري دلماس دوغرامون و لويس رين. و الحقيقة أن اختيار هذه



الشخصيات لم يكن اعتبارها أو من قبيل الصدفة بل جاء نتيجة ترأس ثلاثة من هؤلاء الجمعية التاريخية الجزائرية، وهم بربروجر (1869-1856)، دوغرامون (1892-1879)، رين (1905-1893) ودوفو الذي تقلد مهام أمين خزانة الجمعية ما بين 1876-1866. بتشجيع من أعلى هرم في السلطة وهو وزارة الحربية بالجزائر العاصمة، و بإيعاز من الحاكم العام العسكري راندون (Alexandre, comte Randon) (1871-1795) الذي حكم الجزائر ما بين 1858-1851. كلف "أديان بربروجر" مع ثلة من الضباط السامين في الجيش الفرنسي وعدد من المستعربين الفرنسيين بتأسيس الجمعية التاريخية الجزائرية بعد مرور ستة عشرة عاماً على احتلال الجزائر. ولقد جاء قرار إنشاء هذه الجمعية في 7 أبريل 1856 بحسب "بربروجر" نفسه بعدما فشلت تجارب الدوريات والصحف التي بدأت في الصدور مع بداية الاحتلال في إعطاء الصورة الحقيقية للبحث العلمي، يقول بربروجر: «لقد أسهمت هذه الدوريات في إعطاء لمحات عن البحث العلمي في هذا البلد، غير أن النتائج المتوصل إليها لم تكن منظمة تنظيماً مُحكماً يؤسس لقواعد بحث علمي حقيقي وهو الأمر الذي دفعنا في الجمعية التاريخية الجزائرية إلى إنشاء "المجلة الإفريقية"»⁽⁴⁾.

أهداف المجلة الإفريقية

نشرت الجمعية التاريخية مجلتها باسم: "المجلة الإفريقية" والتي اهتمت بنشر المخطوطات المحلية والعربية والوثائق الأصلية، وسلطت الضوء على تاريخ الجزائر في مختلف عصوره، ولكن بدرجات متفاوتة في الاهتمام. تعتبر المجلة الإفريقية كما يقول عنها غوستاف ميرسيه (Gustave Mercier-Lacombe) (1874-1815): "مكتبة تاريخية في حد ذاتها"⁽⁵⁾، وقد أضحت بعد أكثر من مائة سنة مرجع لا غنى عنه لدى الباحثين في تاريخ الجزائر في مختلف الحقب التاريخية و عديد المجالات المعرفية. كما نجد "بربروجر" قد كتب في مقدمة العدد الأول مصرحاً: "إن فرنسي الجزائر قد أدركوا من الوهلة الأولى مهمتهم الحضارية التي وجب نشرها"، فكان لها أن تأسست شبكة للدراسات التاريخية الإفريقية من خلال ما قامت به المجلة من أعمال، وفي هذا الصدد أضاف قائلاً: "سوف لا يغيب عنها ملاحظتنا لأي شيء مهم ونشره للإدارة والعامة"، ومن خلال ما سبق يبدوا لنا أن مهمة الفرنسيين تتمثل في استغلال ما تتركه الجزائر من خيرات وثروات باطنية و سطحية إلى جانب محاولة نشر الحضارة الأوروبية بشتى الطرق والوسائل ومهما كان الثمن في ذلك؛ فكانت المجلة إحدى مظاهر نشر الحضارة الفرنسية في الجزائر⁽⁶⁾.



لقد أولت المجلة الإفريقية اهتماما بنشر المخطوطات المحلية العربية والوثائق الأصلية، لتحل بذلك مكانة مهمة في الصحافة الجزائرية لما قامت به من مجهودات في البحث عن الآثار القديمة ونشرها، بالإضافة إلى ذلك ما قام به أعضاؤها من أعمال أمثال: "دوغرامون" الذي اهتم بدراسة تاريخ الجزائر، و"فانيان" الذي اهتم بترجمة الأدب والتاريخ العربي و"بيربروجر" الذي رافق الحملة الفرنسية على قسنطينة (1836) حيث قام بجمع رصيد أولي بلغ مائتي مخطوطة عربية، كانت عبارة عن هدايا من ضباط الجيش الفرنسي وبعض ما استطاعت يده الوصول إليها من المساجد وغيرها، وقد استطاع بذلك أن يجمع ما يزيد عن ثمانمائة مخطوط عاد بها إلى مدينة الجزائر ليقوم بعد ذلك البارون "دي سلان" بكتابة تقرير عن محتوى هذه الكتب التي جمعها "بيربروجر" وأخذها إلى مدينة الجزائر، لكن الشيء الأكيد أن كل هذه المجهودات التي قام بها هؤلاء الفرنسيين ليست من باب المحبة للجزائريين وإنما خدمة لمصالح الإدارة الاستعمارية وبمنظرة غربية بحتة وهذا ما ليس في صالح الشعب الجزائري بل لمحاربته من خلال تلك الترجمة التي قام بها أولئك الأجانب، وحسب ما جاءت به الدراسات فإن المجلة الإفريقية وفي مختلف أعدادها ثبت فيها أن المجتمع الجزائري جرد من هويته الجماعية، وذلك كون أن كل زمام الأمور كان يسيرها الأوروبيون وفق ما يتماشى ومصالحهم الاستعمارية الخاصة ومحاولة لتشويه صورة المجتمع الجزائري بأي طريقة كانت، الأمر الذي جعل المجلة الإفريقية تواصل عملها بكل حماس بالتغلغل أكثر في أوساط هذا المجتمع المجهول بالنسبة لهم والبحث في أصول الإنسان البربري الذي اتسم بالعزة والحرية⁽⁷⁾.

على غرار "المجلة العلمية" "جورنال أزياتيك" "Journal asiatique" التي بدأت في الصدور في 1822 م عن الجمعية الآسيوية⁽⁸⁾، ارتأت "الجمعية التاريخية الجزائرية" إصدار مجلة "علمية" تبحث في تاريخ شمال إفريقيا على وجه التحديد، وبالأخص في كل من يتعلق بتاريخ الجزائر العام، وكان لها ذلك مع بداية سنة 1856. لكن على العكس المجلة الآسيوية التي لا تزال تصدر إلى غاية الآن، توقفت "المجلة الإفريقية" عن الظهور في الجزائر أو في الخارج بمجرد حصول الجزائر على استقلالها. وإذا كانت أهداف المجلة المعلنة هي الوصول إلى أن تصبح مكتبة تاريخية إفريقية حقيقية تُكَمِّل ما يقوم به علماء أوروبا من بحوث حول تاريخ إفريقيا والمستعمرات، فإن ما لم يُعلن عنه هو كتابة تاريخ المنطقة من منظور استيطاني كولونيالي يُجَرِّد الجزائريين من تاريخهم، وذلك باتباع الخطوات التالية المثبوتة في ثنايا الدراسات والمقالات:



- التركيز على الآثار والمنقوشات والنميتات الرومانية من أجل ربط منطقة شمال إفريقيا والجزائر خصوصاً بأوروبا اللاتينية - المسيحية. وقد ساهمت العديد من هذه الدراسات والبحوث في وضع برامج التدريس لأبناء المعمّرين والقلّة المحظوظة من أبناء الجزائريين.
 - التركيز بالدراسة النقدية الجارحة على كل ما هو إسلامي في الجزائر وبقية المناطق العربية والإسلامية الأخرى.
 - ربط وجود العثمانيين بالجزائر والعالم الإسلامي (بالجهل والتزمت والفوضى) بل إن تاريخ المسلمين عامة والجزائريين خصوصاً قد وقع في قبضة المقص الاستعماري، فراح دارسو "المجلة الإفريقية" - أو جزء منهم على الأقل - ينددون بما قام به المسلمون تجاه المسيحيين من سي وحبس خلال الفترة التي أعقبت سقوط بعض الإمارات الأندلسية في يد المسيحيين؟.
 - إظهار صورة الفرنسي والمدنية الأوروبية على أنهما يشكّلان الخلاص للجزائريين والمسلمين عامة، وهو المبدأ الأساسي الذي اعتنقه السانسيونيون بشكل عام⁽⁹⁾.
 - التشجيع على استخدام اللهجة الجزائرية العامة في الكتابات الأدبية عامة بنشر الكتب التي تصب في مواضيع إباحية.
- مؤرخو الجزائر من خلال المجلة الأفريقية:
- تعتمد الدراسة على نماذج مجتمع الدارسة الذين تم اختيارهم حسب تاريخ وفياتهم من الأقدم إلى الأحدث.

1- روبروجر (Adrien Berbrugger) (1869-1801)

دخل روبروجر الجزائر سنة 1834، حيث عين كاتباً للمارشال كلوزيل (Maréchal Clauzel) الذي أصبح حاكم الجزائر ما بين (1835-1837). وفي 13 أكتوبر 1836 عين روبروجر محافظاً لمكتبة الجزائر العامة، وهي أول مؤسسة ثقافية في الجزائر خلال المرحلة الاستعمارية. وما إن حلت سنة 1836 أصبح روبروجر يشرف على ثلاث وظائف هي محافظ مكتبة الجزائر، ورئيس تحرير جريدة المرشد الجزائري (Moniteur algérien)⁽¹⁰⁾، ثم أصبح الكاتب الخاص للمارشال كلوزيل⁽¹¹⁾. كما ألحق بمهام مستشار المارشال فاليه (Maréchal Valée) وشارك في حملة قسنطينة، وهناك استولى على كميات معتبرة من المخطوطات التي أصبحت نواة مكتبة الجزائر.



يخبرنا بربروجر أنه جمع من قسنطينة وحدها ثلاثة عشر صندوقاً لم يصل منها إلى الجزائر سوى ثمانية فقط، وكانت تضم 500 مخطوط⁽¹²⁾. ولم يتوانى بربروجر عن مرافقة جيوش الاحتلال حيث شارك في حملة معسكر 1835⁽¹³⁾ وتلمسان والمدينة سنة 1836. وطوال خدمته في الجزائر شارك في جميع اللجان والجمعيات العلمية، وإلى جانب ذلك كان الرجل أثرياً بالمهنة، مؤرخاً ومغامراً ولغويًا. عندما عزم الحاكم العام المارشال راندون (Alexandre de Randon) (1851-1858) في إنشاء الجمعية التاريخية الجزائرية، فكر مباشرة في بربروجر لإدارتها.

ترك بربروجر إنتاجاً غزيراً، نشر معظمه في المجلة الإفريقية، و ما بين 1832-1867 نشر حوالي 31 دراسة و مونوغرافية ثلثها حول الجزائر، كما سجل ملاحظات ومقالات بلغت 241 في عديد المجالات⁽¹⁴⁾. من خلال تتبع المقالات التي أنتجها بربروجر في المجلة الإفريقية و البالغ عددها 136 دراسة في 12 حقلاً، اتضح أن مجال تخصصه انحصر في المجالات التالية: التاريخ، الآثار، التاريخ القديم للجزائر، العمارة، الجغرافيا. وقد انصبّت جل أبحاثه في الأبحاث الأثرية مشتركة مع عديد الباحثين بحكم منصبه الإداري. كما تناول القصص والحروب وعلم النقائش أو الأبيغرافيا (هو علم دراسة النقوش والكتابات القديمة).

في نفس الاتجاه، لوحظ تباين الإطار الجغرافي لكتابات بربروجر من الاهتمام بالجزائر وأهم مدنها كمدينة الجزائر وقسنطينة ثم الانتقال إلى فرنسا والمغرب الأقصى. وفي خضم هذه التباينات ركزت أبحاثه كإطار زمني على الحقبة القديمة لينتقل في العصور الحديثة إلى الاهتمام بالقرون التالية: 17، 16، و 18م. مست الكلمات الدالة في كتابات بربروجر العناصر التالية: النقوش، أيلة الجزائر، بشوات الجزائر، الأسرى، المرابطون، التصوف و المتصوفة، العادات و التقاليد في المجتمع الجزائري، موريطانيا القيصرية، النقوش الأثرية، التماثيل الرومانية و التآبينات. أما الشخصيات المحورية في كتاباته فتمثلت في : هايدو، الكونت أوريلي، الكاردينال خمينيس.

2- ألبر دوفو (Alber Devoulx Fils) (1826-1876)

تعلم ألبر دوفو (1826 – 1876) اللغة العربية بمعهد باب عزون⁽¹⁵⁾ وكان لوالده ألفونس دوفو (Alphonse Devoulx) أثر كبير في اهتماماته واختصاصه، واستفاد ألبر من عمل والده في مجال المعلومات المتعلقة بتاريخ الجزائر خلال الفترة العثمانية الشيء الذي جعله ينشر دراسات متنوعة وكثيرة عن تاريخ الجزائر وترجمة بعض المخطوطات والوثائق. كان يساعد ألبر



دوفو جزائريان، حيث ترجما له كل الوثائق التركية كما ساعده على ترجماته العربية، وهما محمد بن مصطفى ومحمد بن عثمان خوجة، ولم يفتأ دوفو يذكرهما بخير لجزيل العمل الذي أسدياه له لسير أبحاثه التاريخية⁽¹⁶⁾.

نقل دوفو الدفاتر والوثائق التي كانت تحت إشراف الإدارة الفرنسية (Domaine)، ثم أودعها مكتبة الدولة العامة، وتمكن من جمع الآلاف من الوثائق وعمل على ترجمتها، ويذكر ما نصه: "من أنه مرت على يديه حوالي مائة ألف وثيقة"⁽¹⁷⁾ ومجموع دراساته التي نشرها مستقلة على شكل كتب أو أبحاث منشورة بالمجلة الأفريقية (Revue Africaine)، تشهد بأنه اطلع على ملفات كثيرة تخص تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني.

وضع دوفو فهرسا للوثائق العثمانية عام 1850، يتعلق بـ 508 ملفا، مصنفة في مجموعتين، الأولى تعرف "بسجلات البايليك"، والثانية يطلق عليها "دفاتر بيت المال"، وقد أودع قسم من المجموعة الأولى وهو الخاص بقضايا الانكشاريين بمكتبة الجزائر، سنة 1852 بحجة أنه غير مهم وأنه يمكن الاستغناء عنه⁽¹⁸⁾. هذا القسم الخاص بالانكشاريين نجد له فهرسا مستقلا ضمن الفهرس العام الذي وضعه السيد فانان (Fagnan) لمخطوطات المكتبة الوطنية بالجزائر⁽¹⁹⁾.

ومن الأعمال الإيجابية التي تسجل لدوفو في نطاق محاولته من أجل تنظيم الوثائق العثمانية، أن نشر العديد من ملفات الوثائق بعد إدخال تغييرات في ترتيب مادتها وإحداث تحويرات في طريقة عرضها. وبذلك أمكن لدوفو نشر الكثير من الوثائق في شكل كتب مستقلة أو أبحاث بالمجلة الأفريقية مثل: بيان ثكنات الانكشاريين، وسجل الغنائم البحرية ومذكرات تاريخية حول المساجد والمنشآت الدينية بالجزائر، ومصنف بالعلامات المميزة للأسطول الجزائري، وعرض عام للطبوغرافية مدينة الجزائر العثمانية، ومختصر بحياة الرايس حميدو، وعرض عام لأرشفيف القنصلية الفرنسية بالجزائر في العهد العثماني⁽²⁰⁾. وقد أشار جون ديني (Jean Deny) أنه عثر على 200 وثيقة مخطوطة تهم الجزائر من 1754 إلى 1829، تتناول تاريخ الجيش الإنكشاري، وتحتوي على 25 فرمانا ورسائل وكلاء الجزائر في بعض مدن وموانئ الحوض الأبيض المتوسط، وهي تهم تاريخ العلاقات بين الجزائر والسلطة العثمانية، والدول الأوروبية، وعلى هذا الأساس يعتقد ديني، التي اشترى هاته الوثائق من إحدى مكتبات باريس، أنها متأتية من وثائق ألبير دوفو⁽²¹⁾ الذي كان يترك بصمات خطه وتعليقاته على صفحات الوثائق، وربما ما كان يسجله دوفو بنفسه من خلال توقيعها الذي يحمل العبارات التالية:



"إمضاء ألبير دوفو بصفته محافظ الوثائق العربية بإدارة الدومان وعضو الجمعية التاريخية بالجزائر، وعضو مراسل للمعهد المصري، وعضو الجمعية العلمية بمنطقة الفار (Var) بفرنسا" (22)

أنتج دوفو 58 مقالا مست 7 حقول معرفية، وقرأ في كتابات دوفو أنه اهتم بالمناحي التالية: التاريخ، اللغويات، الجغرافيا، و الأثنوغرافيا (تُعرف الأثنوغرافيا بأنها أحد فروع علم الإنسان أي الأثروبولوجيا، وهي وصف للأعراق البشرية)، علم النقائش، العمارة، التاريخ القديم. و اهتم بتاريخ الجزائر العثماني و الدين و مسائل الحج. كما ركزت أبحاثه في التأريخ لمدن الجزائر كمدينة الجزائر و عين تموشنت، و مدينة مرسيليا الفرنسية. ورصدت معظم دراساته على فترة القرنين السابع و الثامن عشر الميلاديين.

يمكن عد دراسات دوفو ذات المنحى التاريخي محاولات جادة لإعادة كتابة تاريخ الجزائر، لكن من وجهة نظر و تفسيرات المدرسة الاستعمارية الفرنسية. إن الالتفاف نحو الحقول المعرفية التي كتب عنها دو في المجلة الإفريقية، انصبحت فيما يلي: مصادر أرشيفية حول الجزائر خلال العهد العثماني⁽²³⁾، المساجد، الأوقاف، المؤسسات الوقفية، بيت المال، المرابطون، البحرية الجزائرية، الجهاد البحري (القرصنة)، أسماء مدينة الجزائر عبر التاريخ، الحفريات، النقوش، المتاحف، المراسلات و الوثائق، بشوات الجزائر، التصوف، الجيش الإنكشاري. أرخ لشخصيات عديدة في دراساته معتمدا على الوثائق منها محمد التركي و محمد خوجة، و الحاج مبارك و ديغو سواريز⁽²⁴⁾.

لقد تميزت الكتابات التاريخية عند دوفو، بالغرق بتفاصيل الحدث و تتابعه و الإنشداد إلى إسناد المعلومات بالوثائق و استخراج مضانها المفردة منها، و إعطاء هذا التتابع و تسلسل الوقائع فيه معنى سياسي و اقتصادي و عسكري يندرج في محاولته التعرف على ظروف و خصائص الجزائر خلال الفترة العثمانية⁽²⁵⁾.

3- دو غرامون (Grammont Henri-Delmas) (1892-1830)

نقيب و موظف في المصالح المالية بالجزائر المستعمرة، مؤرخ بامتياز، عاش بالجزائر و يعد أحد أبرز عناصر الجمعية التاريخية الجزائرية و مؤسس المجلة الأفريقية. ساهم بقسط وافر في كتابة تاريخ الجزائر خلال الفترة العثمانية، و قد ترجم عديد الدراسات من اللغة الإسبانية إلى الفرنسية أبرزها كتاب هايدو (Haedo) حول تاريخ ملوك الجزائر⁽²⁶⁾. و مما يلاحظ



على جل كتابات دوغرامون اهتمامه بتاريخ العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال الفترة العثمانية⁽²⁷⁾.

تتسم كتابات دوغرامون بالاتزان و الخط الممنهج لعرض الأفكار و تحليل الوقائع التاريخية، وفي بلورة النظرة الكولونيالية لمفهوم التاريخ. لقد اختص دوغرامون في التاريخ و الآثار بامتياز ، و عد من أبرز مؤرخي المدرسة الاستعمارية التي كتبت في المجلة الأفريقية بإنتاج فاق 63 دراسة في 6 حقول معرفية. كان العمل الدؤوب ل دوغرامون، كتابه : "تاريخ الجزائر تحت الحكم التركي"، وهو قيمة مضافة أغنت البحث التاريخي حول الديمغرافيا و الأحداث التاريخية للجزائر خلال العهد العثماني، وقد قدم لنا أرقاما إحصائية عن المدن الجزائرية ،متتبعا تطورها السكاني منذ القرن السادس عشر حتى مرحلة الاحتلال الفرنسي.. طوال هذه المدة عرفت الجزائر تحولا ديمغرافيا انحصر بين مؤشرات واضحة للنمو خلال القرن السادس عشر، ومؤشرات دالة على التباطؤ والتراجع السكاني خلال القرن السابع عشر، والذي تسببت فيه سنوات الجفاف الشديد، والمجاعات المخيفة، والأوبئة القاتلة التي دمرت ساكنة المدن والقرى الجزائرية و خاصة أواخر الفترة العثمانية الممتدة ما بين 1792-1830⁽²⁸⁾.

4- لويس رين (Louis Rinn) (1905-1838)

عسكري بالمهنة، ومدير المصالح العامة لساكنة الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، و خريج المدرسة العسكرية الفرنسية سان سير (Saint - Cyr) ما بين 1855-1857، دخل الجزائر سنة 1864 و انخرط في صفوف ضباط لأصاص (المكاتب العربية).لقد لفت انتباه القادة الفرنسيين في عمالة قسنطينة بفضل امتلاكه لقدرات هائلة في تعلم اللغات الأمازيغية، و خلال تواجده بالجزائر و عبر التنقلات العديدة لمدن الجزائر ربط علاقات صداقة مع بعض شيوخ الزوايا منهم أحمد التيجاني و الشيخ ميسوم علي بن عثمان و بعض المترجمين العسكريين أمثال أرنو (Arnaud)، وبفضل هذا الاحتكاك تمكن من تأليف كتاب حول المرابطون و المتصوفة بالجزائر: دراسة في الإسلام بالجزائر سنة 1884، ويعد مصدرا مهما للتأريخ للحركة الصوفي في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية⁽²⁹⁾.

كانت مساهمة رين في الإنتاج التاريخي بواسطة المجلة الأفريقية، ب 67 مقالا ، لاس من خلالها أربعة حقول معرفية، تناولت بالتفصيل: التاريخ، الإثنوغرافيا، اللسانيات، الجغرافيا، الآثار، الدراسات الأمازيغية و التاريخ السياسي. وقد ركزت جل أبحاثه حول الأمازيغ بالجزائر،



والاتحادات القبلية والإدارة العثمانية بمختلف خصائصها وتنظيماتها، واهتم بإطار جغرافي محدد تمثل في مدينة الجزائر ومناطق أخرى كالأوراس ووهران وقسنطينة. في الواقع لا بد من أن نشير، وفي حدود المعرفة المتاحة لدينا من خلال استنطاق الإنتاج التاريخي الوارد في المجلة الأفريقية، إلى أهمية مساهمة رين من خلال معظم كتاباته حول مواضيع، في غاية الأهمية بواسطة التركيز على الدراسات اللغوية والإثنوغرافية وأصول الأمازيغ وممالكهم عبر جغرافية الجزائر القديمة. وقد التركيز على مظاهر الحياة السياسية والدينية للجزائر أواخر الحكم العثماني من خلال تسليط الضوء على الداي حسين باشا (1830-1818). وعلى مستوى الحقول في التأريخ الجزائري الحديث، لابد من الإشارة إلى أهمية الدراسات المنجزة في هذا السياق التي تناولت قضايا استنطقت الوثائق بالدرجة الأولى⁽³⁰⁾.

الحاصل من أعمال هؤلاء المستشرقين أنهم أنتجوا زهاء 324 مقال في المجلة الإفريقية في فترة زمنية امتدت منذ تأسيس المجلة سنة 1856 على يد الجمعية التاريخية الجزائرية و إلى غاية 1905 تاريخ وفاة لويس رين. لوحظ أثناء تقييم الإنتاج المعرفي للدراسات المنجزة أنها غطت تاريخ الجزائر عبر مختلف الحقب الزمنية، وتنوعت اهتماماتها البحثية في شتى حقول المعرفة، كما لوحظ اعتماد دراساتهم على الوثائق والآثار بالدرجة الأولى، وقد لا مست معظم مقالاتهم جغرافية الجزائر بالأساس.

التأبينات :

لقد اعتادت المجلة الأفريقية كتابة التأبينات كموضة للعصر تميزت بها طوال صدها⁽³¹⁾. فقد مجدت كتابها ومفكرها الذين ساهموا بأبحاثهم في إثراء الرصيد المعرفي لدى المجلة. كما عدت مناقهم وإجلال صنيعهم الفكري في مجالات الأبحاث التاريخية والمساهمة في اللجان العلمية والاستكشافية للإدارة الاستعمارية بالجزائر زمنئذ.

إن حقل البيوغرافيا التي هي نوع في ميدان التاريخ، هي في الواقع تعبير عن السيرة الذاتية والبحوث الأكاديمية لأصحابها. ومما يلاحظ على خصائص الكتابة فيها أنها جاءت مختصرة ومركزة، ويمكن القول بأن إنتاج البيوغرافيا في المجلة الأفريقية تجعلنا أمام موسوعة علمية للباحثين الذين أبدعوا بكتاباتهم في المجلة الأفريقية (32).

و جدير بالإشارة أن كتاب المجلة الأفريقية شاركوا في مجال كتابة التأبينات، تأسيسا على خبرتهم وموقعهم وقربهم من المؤننين أنفسهم. كما تناولت التأبينات سير المؤننين ومعلومات



مهنية و أكاديمية تراوحت بين الدقة و الاختصار من جهة، و من جهة أخرى أغرقت بعضها بتفاصيل حول الأعمال المنتجة. كما تعد كتابة التأيينات جزءا لا يتجزأ من الكتابات التاريخية التي ظهرت على صفحات المجلة الأفريقية في جميع أعدادها الصادرة ما بين 1856-1962، و تنوعت من تنفيذ الأعمال و المآثر. و قد استخدم كتاب المجلة الأفريقية طرقا متنوعة في كتابة التأيينات، تلخص كالآتي:

- 5- الدقة و الاختصار في عرض سير المؤييين.
 - 6- كشف الأعمال المهنية في خدمة الإدارة الاستعمارية.
 - 7- سربيليوغرافي للأعمال المنجزة في حقل الدراسات التاريخية بمختلف حقولها.
- ليس الهدف في سياق هذا البحث تفصيل موضوع التأيينات من زاوية البيوغرافيا، بل وضع أنموذج مختصر من هذا العمل التاريخي في بحثنا عن أهم ما أنجزه رواد المجلة الأفريقية في كتاباتهم التاريخية. ومهما يكن من أمر المنهج الذي كتبت به طريقة التأيينات، ومن أمر ارتباطه بعملية سرد السيرة الذاتية بعقلية معرفية معينة، أو بأسلوب إجرائي محدد من أساليب البحث العلمي القائم آنذاك، فإن جل التأيينات التي بأيدينا خصت هؤلاء المؤلفين بالذكر عندما ركزت الحديث على تفانيهم في خدمة أهداف الإدارة الاستعمارية بالجزائر، و تعداد أعمالهم المنشورة في سياق المجلة الأفريقية في هذه المسارات التي كتبها هؤلاء الباحثين الفرنسيين في المجلة الأفريقية عبر مراحل زمنية مختلفة، ومن خلال مواقع إدارية متعددة الاتجاهات تضمنت مؤشرات بحثية نلخصها كالآتي:
- 1- أبحاث هؤلاء المؤلفين تندرج في اطار تحليل الإنتاج التاريخي عبر المجلة الإفريقية من خلال انتاج المعرفة التاريخية.

- 2- تخصص الكتاب.
- 3- مجالات اهتماماتهم البحثية.
- 4- المواضيع المدروسة.
- 5- الإطار الجغرافي للأبحاث.
- 6- الإطار الزمني للأبحاث.
- 7- الشخصيات الرئيسية ضمن أبحاثهم.

هذه حصيلة إنتاج المدرسة التاريخية الاستعمارية بالجزائر من خلال المجلة الأفريقية ممثلة في أربعة نماذج مجتمع الدراسة، وهو انتاج متميز بالتنوع و الغزارة و فروع ميادين



البحث، و متسم بالجدية في الطرح و اتباع طرق و مناهج متطورة في البحث التاريخي، فتحت أبواب التدقيق و البحث و التمهيد لدراسات مماثلة جاء في سياق انتاج كتاب المجلة الأفريقية. نشأ سجل تاريخ الجزائر عبر مختلف العصور و الحقب، كتنويع لجهود البحث و التحقيق و التفكير، ومن خلال ما آلت إليه الأبحاث في متون المجلة الأفريقية حتى توجت منهجا علميا صار مرجعا لا غنى عنه لجمهور الباحثين المهتمين بتاريخ المغرب عامة و تاريخ الجزائر خاصة. هذا التنويع جاء تسهيلا للبحث ، و تفصيلا لأهم محطات تاريخ الجزائر عبر التركيز على أهمية الوثائق و المعالم الأثرية في عمليات التأريخ ، تندرج جميعها في اطار مدرسة كولونالية فرنسية بامتياز.

ملاحق:

مجتمع الدراسة جاءت على النحو التالي:

جدول رقم (1): المؤلفون مجتمع الدراسة و انتاجهم الفكري
حسب الأقسام و عدد المقالات المنشورة في المجلة الأفريقية:

الرقم	المؤلف	عدد الأقسام	عدد المقالات
1	بيربرو جر أدريان	12	136
2	دوفو ألبير	7	58
3	دو غرامون هنري دالماس	6	63
4	لويس رين	4	67
	المجموع	//	324



جدول رقم 02: الإنتاج الفكري في مختلف الأقسام الصادرة في المجلة الإفريقية
(1961-1856)

الرقم	التخصص حسب الأقسام	عدد المقالات
01	تاريخ	733
02	علم الآثار	378
03	إثنوغرافيا	128
04	فلكلور، تقاليد، أساطير	123
05	مونوغرافيا	113
06	أدب، لغة، تعليمية اللغات	97
07	دين و معتقدات	83
08	تراجم و بيوغرافيا	75
09	رحلات	74
10	اقتصاد	32
11	جغرافيا	31
12	تربية و تعليم	19
13	قانون و تشريع	16
14	علم العملات	13
15	هندسة و عمران	05
16	المناخ	05
17	علم الاجتماع	04
18	زراعة	03
19	متنوعات	20
	المجموع	1952



الهوامش:

(1) ستيفان قزال (1864-1932) هو عالم آثار فرنسي متخصص في إفريقيا الرومانية وبالأخص في الجزائر القديمة. تم تعيينه في المدرسة العليا للأدب في مدينة الجزائر، قام بإجراء حفريات أثرية في تيبازة وشرع في استكشاف العديد من المواقع الأثرية القديمة في الجزائر، ما سمح له بإصدار جرد استقصائي من مجلدين في العام 1901م حول "البنائيات القديمة في الجزائر". عين من طرف الإدارة الاستعمارية كمفتش للآثار القديمة في الجزائر ابتداء من العام 1900م، ثم جرى تنصيبه كمدير لـ "متحف الجزائر". يُعتبر أهم إنجاز علمي وأدبي له هو إصدار موسوعة "التاريخ القديم لشمال أفريقيا"، (بالفرنسية: Histoire ancienne de l'Afrique du Nord) في ثمانية مجلدات تمت كتابتها ما بين العامين 1913م و1929م. للمزيد حول شخصية هذا العالم، ينظر:

Albertini (E.). - Stéphane Gsell [1864 - 1932], In, RA, n° 73, 1932 pp. 20-53.

Picard (Charles), Notice sur la vie et les travaux de M. Stéphane Gsell, CRAI, 1947, p. 25-86.

Audollent (A.). - L'œuvre de Stéphane Gsell, Revue Tunisienne., 35, 1933, p. 3-18.

(2) يذكر شارل فيرو (Laurent-Charles Féraud) (1888-1929) في كتابه مترجمو الجيش الأفريقي أنّ صدور تصريح تشكيل أول مجموعة من المترجمين والمرشدين العسكريين بالجزائر كان في شهر جانفي من سنة 1830. فقد قامت آنذاك وزارة الحربية تحت إشراف الجنرال دي لوفردو (De Loverdo) بتكليف "دي كليرمونت تونار (De Clermont Tonner) بهذه المهمة، وتم إنشاء مكتب خاص لإنجاز خرائط ومخططات المناطق الجزائرية. وقد بلغ عدد المترجمين الذين كانوا موظفين من طرف وزارة الحربية الفرنسية سنة 1830 ما يعادل 69 مترجما، 22 في حين بلغ عدد المترجمين العسكريين الذين كانوا في الخدمة سنة 1876 ما يعادل 77 مترجما. نشر منهم 21 مترجما أعمالا عن الجزائر في مختلف مجالات العلوم والتخصصات. كما يعد فيرو المصدر الوحيد الذي خلد مسيرة المترجمين العسكريين في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، حيث قدم لنا صورة نمطية عن نشاط هؤلاء المترجمين في الجيش الإفريقي بالجزائر ودورهم الاستراتيجي في إنجاح عمليات إخضاع الجزائريين، وبذكاء فائق ومرونة تشهد لها الكتب التي أنتجها هؤلاء المترجمون في تعاملهم مع الجزائريين، كما تبين لنا مدى حنكهم ودهاءهم السياسي. للمزيد ينظر:

Lauren-. Charles Féraud, Les interprètes de l'armée d'Afrique (archives du corps), Alger, Jourdan, 1876.

Messaoudi, A., « Renseigner, enseigner : les interprètes militaires et la constitution d'un premier corpus savant algérien (1830-1870) », Revue d'histoire du XIXe siècle (en ligne), 41/2010, mis en ligne de 30 décembre 2013. URL : <http://rh19.revues.org/index4049.html>, p. 99.

حنيفي، هلايلي « المترجمون في الجيش الفرنسي: آليات وركائز الإدارة الاستعمارية في الجزائر (1830-1962) »، الحوار المتوسطي، مجلد 7/1 | 2015، 175-187.

En ligne, Vol 7/1 | 2015, mis en ligne le 15 Mars 2016, <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/8063>



(3) حول موضوع لجنة الاكتشاف العلمي للجزائر ، يراجع: أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، بيروت : دار الغرب الإسلامي، 1998، ص ص 80-87. وأيضا:

Tableau de la situation des établissements français dans l'Algérie, imprimerie royale, 1842-1858.

Xavier, Yacono, « La Régence d'Alger en 1830 d'après l'enquete des commissions de 1833-1834 », In, Revue de 'occident musulman et de la Méditerranée, n°1, 1966, pp.229-244.

(4) للمزيد حول الموضوع يراجع:

François, Pouillonet, Dictionnaire des orientalistes de langue française, Paris, IISM-Karthala, 2008, pp. 822-823.

(5) Octave Teissier : Biographie de M. Mercier-Lacombe, Draguignan 1876

(6) أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي 1998، ج6، ص 94.

(7) إسماعيل، العربي، الدراسات العربية في عهد الاحتلال الفرنسي، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 2007، ص 29.

(8) حول تاريخ واهداف المجلة الآسيوية يراجع الدراسة القيمة لصاحبها: محمد العربي، معريش، الإستشراق الفرنسي في المغرب والمشرق من خلال المجلة الآسيوية (1822-1872)، ط1، تونس: دار الغرب الإسلامي، 2009، ص ص 69-94.

(9) السيمونية حركة سياسية اجتماعية فرنسية بدأت مع بداية النصف الأول من القرن التاسع عشر، ألهمت بأفكار الفيلسوف السياسي الفرنسي هينري سان سيمون (Claude-Henri de Rouvroy de Saint-Simon) (1760 - 1825).

(10) تأسست جريدة المرشد الجزائري سنة 1832، وهي جريدة رسمية وتوقفت سنة 1858، أي إلى تاريخ إنشاء وزارة الجزائر والمستعمرات وإلغاء الحكومة العامة من الجزائر. أصبحت جريدة المبرهي لسان حال الإدارة الفرنسية (1847-1927). راجع: أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، ص ص 214-216. وأيضا :

Un bibliothécaire en compagnie, In, R. A, n°. 68, 1927, p. 107

Esquer, Gabriel, La Bibliothèque nationale d'Alger. In : « La lecture publique : (11) mémoires et vœux du congrès international d'Alger», 1931, pp. 161-181

(12) أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، ص 337.

(13) تأسست الجمعية بتاريخ 1 مارس 1856 بالجزائر وعين بربروجر رئيساً لها. وقد تولت الجمعية نشر معلوماتها المتصلة بتاريخ أفريقيا بواسطة المجلة الإفريقية (Revue Africaine) التي سلطت الضوء على تاريخ الجزائر في مختلف العصور. واعتبرت مجلداتها كما صرح غوستاف ميرسييه بأنها مكتبة تاريخية في حد ذاتها. بلغ عدد مجلداتها 106 من 1856-1962. وتوقفت عن الصدور ما بين 1914-1918.



⁽¹⁴⁾ Wood, Raymund F, « Berbrugger , Forgotten Founder of Algerian Librarianship », In : « The Journal of Library History Philosophy and Comparative Librarianship, volume V, 1970, pp. 237-256

⁽¹⁵⁾ حول موضوع: المترجمون الجزائريون في بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، راجع: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، بيروت : دار الغرب الإسلامي، 1998، ج6، ص ص. 175 - 196.

⁽¹⁶⁾ حول موضوع: المترجمون الجزائريون في بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، راجع: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، بيروت : دار الغرب الإسلامي، 1998، ج6، ص ص. 175 - 196.

⁽¹⁷⁾ Devoulx, Albert, « Alger : Etude archéologique et topographique sur cette ville aux époques sur cette ville aux époques romaine (Icosium), arabe (Djeraïr Beni Maz'renna) et Turque (El - Djezaïr) », in, R.A, n°20, p. 422

⁽¹⁸⁾ Deny, jean, « A propos du fond arabo – Turc des archives du gouvernement général de l'Algérie », in, R.A, n° 62, 1921, p. 370

⁽¹⁹⁾ Fagnan, Edmond, Catalogue des manuscrits de la bibliothèque nationale d'Algérie, Alger, Bibliothèque nationale d'Algérie, 2ème édition, 1995, (Première tranche i du n° 1 au n°1987

⁽²⁰⁾ ناصر الدين، سعيدوني، ورقات جزائرية، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2000، ص 50 - 51.

⁽²¹⁾ Deny, Jean, « Document Turcs inédits à l'Algérienne des années 1724 à 1829 », in, Journal Asiatique, Mai 1914, PP. 705 - 709

⁽²²⁾ عبد الجليل، التميمي، المرجع السابق، هامش: 14، ص 18.

⁽²³⁾ يندرج في هذا الإطار ما كتبه حول تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني والذي اعتمد أساسا على الأرشيفات والمصادر المحلية:

Tachrifat, recueil de notes sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger, - Alger, Imp. Du gouvernement, 1852

Les Archives du consultât général de France à Alger, Alger, Bastide, 1865-

Le registre des prises maritimes », in, R.A, N° 15, 1871, n° 16, 1872»-

⁽²⁴⁾ من بين الشخصيات التي أرخ لها في المجلة الأفريقية:

« Assassinat du Pacha Mohamed Tekelerli », in, R.A, N°15, 1871.

« Mort du Pacha Mohamed Khodja, en 1754 », in, R.A, N°16.

- Le Raïs Hamido, Alger, 1959.

⁽²⁵⁾ أهم الدراسات التي اهتمت بهذه المجالات :

« Les casernes des janissaires à Alger », in, RA, n°3.1858.

Notices sur les corporations religieuses d'Alger, Alger, Bastide, 1861.

« La marine de la régence d'Alger », in, R.A, n°13, 1869.

« Relevé des principaux Français qui ont résidé à Alger de 1686 à 1830 », in, R.A, n°16, 1872.

⁽²⁶⁾ العنوان الأصلي لكتاب الراهب هايدو بالإسبانية:

.Topografia e historia general de Argel por el maestro fray Diego de Haedo



Grammont (H.-D. DE), Histoire des rois d'Alger par fray Diego de Haëdo, abbé de Fromesta, traduite et annotée, In, RA, n°24, 1880, n°25, 1881.

Grammont (H.-D. DE), Relations entre la France et la régence d'Alger au 1884. XVII^e siècle, In, RA, n°28, (27)

H. D. De Grammont, Histoire d'Alger sous la domination Turque (1518-1830), Éd Ernest Leroux, Paris, 1887, pp.120-241. (28)

للمزيد حول شخصيته يراجع: (29)

Alain, Messaoudi, Les Arabisants et la France colonial, ENS, Lyon, 2015, pp.306-307.

في هذا الصدد يمكن حصر الدراسات التي أنتجها رين في المجلة الأفريقية: (30)

Rinn (L.), Essai d'études linguistiques et ethnologiques sur les origines berbères, In, 1888, 1889, 1887, 1886, 1885, 1884, 1883, 1882, RA, n°25, 1881

.1898, 1899 n°41, 1897, RA, Rinn (L.), Le royaume d'Alger sous le dernier dey, In تشمل هذه البيانات لائحة التأيينات بأسماء مجتمع الدراسة: (31)

Cherbonneau (A.), Nécrologie, [L. Bresnier (+1869); A. Berbrugger (1801+1869).], In, RA, n°13, 1869. pp.319-324.

Feraud (L.-Charles), Nécrologie. [M. Albert Devoulx 1876] ,In, RA, n°20, 1876. pp.515-517.

Rinn (Louis) et Jacqueton (G.), M. H. de Grammont [1830 + 1882], In, RA, n°36, 1892. pp.289-311

Lacroix (N.), Le lieutenant-colonel Rinn [1838 + 1905], In ,RA , n°49, 1905. pp.130-132.

من خلال عملنا الإحصائي في المجلة الأفريقية، اتضح أن عدد المؤلفين في هذا الحقل بلغ 48، و عدد المساهمات بلغت بـ 75. لمعرفة قواعد كتابة البيوغرافيا، يراجع: (32)

Jacques le Goff. « Comment écrire une biographie historique aujourd'hui ». Le Débat, n° 54, mars- avril . 1989